

مُعَايِيرُ الْبُرْهَانِ فِي فِقْهِ الْإِعْجَازِ وَتَقْوِيمِ الْأَذْهَانِ

منهج تأصيلي ونقدي في ضوابط التعامل
مع الآيات الكونية والأحاديث الطبية

تأليف: عادل غرياني رحيم

مَعَايِيرُ الْبُرْهَانِ

فِي فِقْهِ الْإِعْجَازِ وَتَقْوِيمِ الْأُذْهَانِ

منهج تأصيلي ونقدي في ضوابط التعامل
مع الآيات الكونية والأحاديث الطبية

عادل غرياني رحيم

أستاذ مشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه



بسم الله الرحمن الرحيم

مَعَايِيرُ الْبُرْهَانِ فِي فَقْهِ الْإِعْجَازِ وَتَقْوِيمِ الْأُذْهَانِ

منهج تأصيلي ونقدي في ضوابط التعامل مع الآيات الكونية والأحاديث الطبية

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى ورحمة، وجعل في آياته البينات ما يقيم الحجة، ويفتح للعقول أبواب النظر والاعتبار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

فإن المعرفة في عصرنا قد تداخلت مناهجها، وتعددت مجالاتها، وانبهر الإنسان بما كشفه المختبر من أسرار المادة والكون، حتى نشأت في بعض البيئات نزعة مادية جعلت المحسوس والتجربة معياراً وحيداً للحقيقة، وتجاوزت ما وراء الحس من الغيب والإيمان.

وفي خضم هذا الانبهار بالعلم التجريبي، ظهرت محاولات معاصرة لتوظيف الإعجاز العلمي في خدمة الدعوة وإقامة البرهان على صدق الوحي. وهذا الاتجاه في أصله يفتح مجالاً مهماً للحوار بين الوحي والعلم، غير أن الحماسة قد تنحرف أحياناً عن موازين الأصول وقوانين الاستدلال، فيقع بعض الباحثين في التكلف، ويحملون النصوص ما لا تحتل، أو يربطونها بفرضيات ونظريات قابلة للتغير.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب؛ فهو لا يقوم على مجرد سرد المكتشفات العلمية، ولا على إغراق القارئ في التفاصيل، وإنما يسعى إلى بناء ميزان صارم وعقلية ناقدة تضبط العلاقة بين الوحي المعصوم والمعرفة البشرية المتغيرة.



فالمنهج المنشود ليس غلوًا في العلم حتى نجعل القرآن تابعًا لكل نظرية مستحدثة، ولا جفاءً للمعارف الكونية حتى نحرم العقل المعاصر من وجوه التدبر والاعتبار التي يمكن أن تكشفها آيات الله في الآفاق والأنفس.

ولهذا يدعو هذا الكتاب الباحث إلى الرجوع إلى أصول التفسير، وفهم النص لغةً وسياقًا، والاستفادة من مباحث فلسفة العلم، والتمييز بين الحقيقة العلمية والنظرية والفرضية، وبين الإشارة العلمية والتفسير العلمي ودعوى الإعجاز.

والغاية أن يكون خطاب الإعجاز العلمي خطابًا برهانيًا منضبطًا، يجمع بين سلامة الدليل وأمانة النقل، ويخاطب العقل بلغة البرهان، والقلب بنور الإيمان، دون أن يحول القرآن الكريم إلى كتاب في الفيزياء أو الطب أو الفلك، بل يقيه كتاب هداية وإيمان وتشريع، يستفيد من النظر في الكون في إقامة الحجة وتعميق الاعتبار.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53].

فالقرآن الكريم كتاب هداية ربانية ومصدر بناء معرفي وروحي وتشريعي، يقيم الحجة على الخلق، ويؤسس لعقيدة التوحيد، ويخرج الإنسان من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الإيمان واليقين. وقد شاء الله تعالى أن يكون هذا الكتاب معجزًا في ذاته، متجدد الدلالة، ممتد الأثر، لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي وجوه الاعتبار فيه.

ومن أوجه الإعجاز التي كثر الحديث عنها في العصر الحديث: الإعجاز العلمي، وهو مجال تتنازعه نزعتان: نزعة متحمسة ترى فيه فتحًا دعويًا عظيمًا، ونزعة ناقدة تحشى أن يتحول إلى باب للتكلف وإسقاط النظريات المتغيرة على النصوص الثابتة.



وبين هذين الاتجاهين يأتي هذا الكتاب ليؤكد الحاجة إلى اتجاه علمي منضبط، يدرس وجوه الدلالة العلمية في النصوص دون تحميلها ما لا تحتل، ودون جعل القرآن كتاباً متخصصاً في العلوم التجريبية، بل كتاب هداية يربط العلم بالإيمان.

المحاضرة الأولى:

مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم:

أولاً: المعنى اللغوي للإعجاز:

الإعجاز مأخوذ من مادة «ع ج ز»، وهي تدل على الضعف وعدم القدرة.

يقال: عجز عن الشيء إذا لم يقدر عليه.

ومن هذا المعنى قوله تعالى:

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [العنكبوت: 22].

فالمعنى: أنكم لا تستطيعون الإفلات من قدرة الله تعالى، ولا الخروج عن سلطانه.

ثانياً: الإعجاز في الاصطلاح:

يمكن تعريف الإعجاز القرآني بأنه:

إظهار عجز الخلق عن الإتيان بمثل القرآن أو معارضته في وجه من وجوهه، مع قيام التحدي واستمرار العجز.

وعليه، فالإعجاز ليس مجرد جمال في الأسلوب، ولا مجرد بلاغة منفردة، وإنما هو أمر يرتبط بالتحدي وقيام الحجة واستمرار العجز عن المعارضة.

وقد تحدى القرآن العرب في أعلى ما برعوا فيه من الفصاحة والبيان، كما جاء التحدي بالإتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله.

ومن هنا يتبين أن مفهوم الإعجاز أوسع من مجرد الانبهار بجمال النص، لأنه يقوم على التحدي والعجز عن المعارضة.



ثالثاً: تعدد وجوه الإعجاز:

الإعجاز القرآني ليس لوناً واحداً، بل تتعدد وجوهه ودلالاته؛ فالقرآن يخاطب العقل، والوجدان، والفطرة، والواقع، والتاريخ، والكون.

ومن أشهر الوجوه التي تناولها الباحثون:

الإعجاز البياني واللغوي.

الإعجاز التشريعي.

الإعجاز الغيبي والتاريخي.

الإعجاز النفسي والتربوي.

الإعجاز العلمي.

وهذه الوجوه لا تعني أن القرآن كتاب علوم تجريبية، وإنما تعني أن النص القرآني يشتمل على آيات ودلالات تدعو إلى النظر والتفكير والاعتبار، وأن بعض وجوه دلالاته يمكن دراستها في ضوء ما ثبت من المعارف.



المحاضرة الثانية:

أنواع الإعجاز في القرآن الكريم:

أولاً: الإعجاز البياني واللغوي:

وهو الوجه الذي ظهر للعرب بصورة مباشرة؛ لأنهم كانوا أهل فصاحة وبيان، فبهرهم القرآن بنظمه وبلاغته وأساليبه.

قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: 1].

وقال سبحانه:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: 41-42].

ويُعد هذا الوجه من أصول الحجة القرآنية، لأنه متعلق باللغة التي نزل بها القرآن، وبالنظم والبيان والتأليف الذي وقع به التحدي.

ثانياً: الإعجاز التشريعي:

وهو ما يظهر في كمال التشريع القرآني واتساقه وعدالته، وقدرته على تحقيق مصالح الإنسان ودفع المفاسد عنه.



ومن أبرز مظاهره:

- حفظ الضروريات والكليات التي تقوم بها حياة الناس.
- ضبط المصالح والمفاسد.
- إقامة العدل.
- تنظيم علاقة الفرد بالمجتمع.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: 90].

ثالثاً: الإعجاز الغيبي والتاريخي؛

وهو ما أخبر به القرآن من أمور غيبية ماضية أو مستقبلية ثم وقع الأمر وفق ما أخبر به النص. ومن أمثلته ما جاء في شأن الروم:

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: 2-4].

ويظهر وجه الدلالة هنا في الإخبار عن أمر مستقبلي وقع بعد ذلك وفق ما أخبر به القرآن.

رابعاً: الإعجاز النفسي والتربوي؛

وهو أثر القرآن في النفوس، وقدرته على إصلاح القلب، وتركية الإنسان، وبناء الشخصية، وتوجيه المجتمع.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

فالقرآن لا يقدم معلومات مجردة، وإنما يصنع أثراً في النفس والسلوك، ويربط المعرفة بالإيمان والعمل.

خامساً: الإعجاز العلمي؛

الإعجاز العلمي هو المجال الذي يركز عليه هذا الكتاب.



وقد عرّف بأنه ما يتضمنه القرآن والسنة من إشارات كونية أو حقائق علمية ثابتة، يظهر من خلالها توافق دلالة الوحي مع حقائق ثبتت بالعلم، مع ضرورة مراعاة زمن النزول وسلامة الدلالة اللغوية وعدم التكلف.

وهذا الباب يحتاج إلى ضوابط دقيقة؛ لأن الخطأ فيه قد ينشأ من ربط النصوص بفرضيات أو نظريات متغيرة، ثم تقديم ذلك على أنه إعجاز قطعي.

ولهذا لا بد من التمييز بين الإشارة العلمية، والتفسير العلمي، والإعجاز العلمي.



المحاضرة الثالثة:

ضبط مفهوم الإعجاز العلمي والتمييز بين مراتبه:

أولاً: لماذا نحتاج إلى ضبط المصطلح؟

إن كثيراً من الكتابات المعاصرة فتحت باب الإعجاز العلمي لكل من أراد أن يربط القرآن باكتشاف علمي، ولو كان هذا الاكتشاف ظنيًا أو قابلاً للتغير.

وهذا يوقع الباحث في إشكال منهجي؛ لأن العلم التجريبي يتطور، وبعض النظريات تتغير أو يعاد تفسيرها، بينما النص القرآني ثابت.

ولذلك لا يصح أن نجعل كل توافق بين آية واكتشاف علمي إعجازًا علميًا.

ثانيًا: الإشارة العلمية:

الإشارة العلمية هي دلالة عامة في النص يمكن أن يظهر فيها وجه من وجوه التوافق مع حقيقة كونية، دون أن يلزم من ذلك أن تكون الآية قد جاءت لتقرير تلك الحقيقة بتفاصيلها العلمية. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30].

فالآية تربط الحياة بالماء، ويمكن للباحث أن ينظر في وجوه هذه الدلالة في ضوء المعرفة العلمية. لكن ينبغي ألا يتحول هذا إلى تحميل الآية تفاصيل علمية لم يذكرها النص.

ثالثًا: التفسير العلمي:

التفسير العلمي هو محاولة تفسير الآيات في ضوء المفاهيم العلمية الحديثة. وقد يفسر بعض الباحثين لفظاً قرآنياً بمصطلح علمي معاصر، كربط لفظ السماء بالغلاف الجوي أو الفضاء أو غير ذلك.

وهذا النوع من التفسير يحتاج إلى عناية باللغة والسياق وأقوال المفسرين، ولا يكفي فيه مجرد وجود تشابه بين اللفظ والمفهوم العلمي.



رابعاً: الإعجاز العلمي؛

الإعجاز العلمي دعوى أقوى من مجرد الإشارة أو التوافق؛ لأنه يتضمن القول بأن النص سبق إلى تقرير حقيقة علمية ثابتة على وجه لم يكن متاحاً للبشر في زمن التنزيل.

ولهذا ينبغي أن يكون استعمال المصطلح أكثر احتياطاً من استعمال عبارات مثل:

«قد تشير الآية»، أو «يمكن أن تتوافق الآية مع...»، أو «يظهر وجه من التوافق...».

أما الجزم والقطع، فلا ينبغي استعمالهما إلا عند تحقق شروط قوية تتعلق بثبوت النص، وسلامة الدلالة، وثبوت الحقيقة العلمية، وعدم وجود تفسير أقرب يمنع هذا الحمل.

خامساً: العلوم التجريبية بين الحقيقة والنظرية والفرضية؛

من أهم ما يحتاج إليه الباحث في هذا المجال أن يميز بين مستويات المعرفة العلمية.

1. الحقيقة العلمية

هي ما ثبت بالتجربة والملاحظة، واستقر عند المختصين استقراً معتبراً.

2. النظرية العلمية

هي إطار تفسيري واسع يفسر مجموعة من الظواهر، وقد يكون قوياً ومؤيداً بأدلة كثيرة، لكنه يظل قابلاً للتطوير وإعادة الصياغة.

3. الفرضية العلمية

هي تصور أو اقتراح أولي يحتاج إلى الاختبار، وقد يثبت أو يسقط.

وعليه، لا يصح بناء دعوى إعجاز قطعية على فرضية قابلة للسقوط، ولا على نظرية لم تستقر دلائلها العلمية، وإنما ينبغي التفريق بين الإعجاز القطعي وبين التوافق أو الاحتمال العلمي.



المحاضرة الرابعة:

الضوابط المنهجية للإعجاز العلمي:

لا يصح للباحث أن يطلق وصف الإعجاز العلمي على أي توافق بين النص الشرعي والعلم التجريبي، بل لا بد من مراعاة مجموعة من الضوابط.

الضابط الأول: سلامة الدلالة اللغوية والسياق التاريخي:

لغة العرب التي نزل بها القرآن هي الأصل في فهم ألفاظه، ولذلك لا يجوز نزع اللفظ القرآني من معناه اللغوي ثم إلباسه مصطلحاً علمياً حديثاً لم يكن معروفاً في زمن النزول. فلا يكفي أن تتشابه كلمة عربية مع مصطلح علمي حديث حتى نجزم بأن الآية تقصد ذلك المصطلح.

الضابط الثاني: مراعاة السياق القرآني:

الآية ليست جملة منفصلة عن سياقها، وإنما هي جزء من بناء متكامل له مقصد معين. وقد يكون المقصد وعظاً أو إرشاداً أو تخويفاً أو اعتباراً أو تشريعاً. ولهذا يجب ألا تؤدي القراءة العلمية إلى عزل الآية عن سياقها، أو إلى إلغاء مقصدها الأصلي والتربوي.

الضابط الثالث: عدم معارضة التفسير المعتمد:

السلف من الصحابة والتابعين أعلم الناس بلسان العرب وبسياق التنزيل، ولا يشترط أن يكونوا قد عرفوا كل التفاصيل العلمية الحديثة. لكن لا ينبغي أن يأتي الباحث بتفسير علمي يصطدم اصطداماً تاماً بأصول اللغة والتفسير دون دليل معتبر.

فالاستفادة من العلوم الحديثة لا تعني إلغاء التفسير المعتمد.



الضابط الرابع: الاعتماد على حقيقة علمية مستقرة:

لا يجوز أن يجعل الباحث فرضية علمية قابلة للسقوط أساساً لإعجاز قطعي.
كما لا ينبغي أن يجعل النظرية العلمية المتغيرة هي المعنى الحاكم على النص.
ويمكن ذكر النظرية العلمية بوصفها احتمالاً أو وجه توافق، مع بقاء الحكم على دعوى الإعجاز مرتبطاً بدرجة ثبوت الحقيقة العلمية وسلامة دلالة النص عليها.

الضابط الخامس: عدم تحميل النص تفاصيل لم يذكرها:

النص القرآني قد يقرر الكليات والسنن العامة، ولا يلزم أن يكون قد قصد إلى بيان المعادلات الرياضية أو التفاصيل التركيبية الدقيقة.
ومن الخطأ أن يحاول الباحث استخراج تفاصيل صناعية أو كيميائية دقيقة من لفظ قرآني عام دون مستند لغوي أو تفسيري معتبر.

الضابط السادس: التورع في لغة الأحكام:

إذا كانت دلالة النص على الكشف العلمي محتملة وغير قطعية، وجب أن تكون لغة الباحث متناسبة مع درجة الدلالة.

فيقول مثلاً:

- قد تشير الآية إلى...
- يمكن أن تتوافق الآية مع...
- يظهر وجه من وجوه التوافق...
- يحتمل أن يكون في الآية وجه من الدلالة...
- ويتجنب الجزم بعبارات مثل:
- هذا هو المعنى الوحيد للآية.
- هذا إعجاز قطعي.



- الآية تعني هذه النظرية حصراً.

الضابط السابع: التمييز بين الإعجاز والتوافق العلمي:

التوافق العلمي قد يعني وجود ملمح عام في النص يتفق مع حقيقة أو ظاهرة كونية. أما دعوى الإعجاز فهي أقوى، لأنها تحتاج إلى إثبات أن النص قرر حقيقة علمية على وجه يتجاوز ما كان يمكن إدراكه في زمن التنزيل. ولهذا ينبغي ألا نساوي بين الأمرين. والقاعدة الجامعة:

ليس كل توافق علمي إعجازاً، وليس كل إشارة علمية تفسيراً، وليس كل تفسير علمي صحيحاً مجرد موافقته لمعلومة حديثة.

الإعجاز العلمي في السنة النبوية:

البحث في الإعجاز العلمي في السنة يحتاج إلى عناية خاصة؛ لأن الحديث لا بد أن يثبت أولاً من جهة الرواية، ثم ينظر الباحث في دلالة اللغوية والسياقية، وبعد ذلك يدرس علاقته بالمعرفة العلمية. ومن النصوص التي استدل بها بعض الباحثين حديث مراحل خلق الإنسان: ((إن أحركم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك...)).

وهو حديث مشهور مخرج في الصحيحين.

لكن دراسة هذا الحديث في باب الإعجاز العلمي لا ينبغي أن تقتصر على إثبات صحته، بل تحتاج إلى دراسة حديثية وتفسيرية وطبية متأنية، مع مراعاة ألفاظ الروايات المختلفة ودلالاتها. فالحديث الصحيح شيء، وإثبات تفسير علمي تفصيلي له شيء آخر.



الإعجاز العلمي بوصفه أداة دعوية؛

يمكن أن يكون الإعجاز العلمي وسيلة نافعة في الخطاب الدعوي إذا استُعمل في موضعه الصحيح؛ لأن بعض الناس يتأثرون بلغة البرهان والملاحظة والتجربة.

والقرآن نفسه يوجه النظر إلى الكون والإنسان لإقامة الحجة، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35].

فالآية تقيم حجة عقلية على بطلان العبثية، وتدعو إلى النظر في أصل الوجود.

لكن لا ينبغي أن يتحول الإعجاز العلمي إلى الأساس الوحيد للإيمان؛ لأن ربط الإيمان بدعوى علمية واحدة قد يجعل الإيمان عرضة للاضطراب إذا ظهر نقد علمي لهذه الدعوى.

ولهذا يكون المنهج الصحيح هو عرض الإعجاز العلمي في إطار الهداية والتفكير والاعتبار، لا في صورة صراع دائم مع العلم، ولا في صورة إثباتات رياضية جامدة لكل آية.

إن الإعجاز العلمي حين يوضع في موضعه الصحيح يمكن أن يكون شاهداً على صدق الوحي، لكنه لا يغني عن أصول الإيمان، ولا عن البيان القرآني، ولا عن الحجة العقلية والشرعية..

والقاعدة الجامعة:

لا تبدأ من الاكتشاف لتبحث له عن آية، بل ابدأ بالنص، فحرر دلالاته، ثم حرر الحقيقة العلمية، ثم اختبر العلاقة بينهما، وبعد ذلك فقط أصدر الحكم.

مصطلحات لا بد من تحريرها:

الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي والإشارة العلمية والتوافق العلمي.

من أهم أسباب الاضطراب في الكتابة عن الإعجاز العلمي عدم التمييز بين المصطلحات

المقاربة، ولذلك ينبغي للباحث أن يحرر المصطلح قبل أن يصدر الحكم.



1. الإعجاز العلمي

يقصد به . في إطار هذا الكتاب . الاستدلال بما في النص الشرعي من إشارة إلى حقيقة كونية أو علمية ثابتة، مع استكمال الضوابط اللغوية والتفسيرية والعلمية والمنهجية، بحيث يكون الربط بين النص والحقيقة العلمية قائماً على دليل معتبر، لا على مجرد التشابه أو الاحتمال البعيد.

2. التفسير العلمي .

هو توظيف المعارف والحقائق العلمية في فهم بعض الآيات التي تتصل بالكون أو الإنسان أو الظواهر المشاهدة.

والتفسير العلمي أوسع من دعوى الإعجاز؛ لأن التفسير قد يكون اجتهاداً في فهم الآية، بينما دعوى الإعجاز تحتاج إلى شروط وضوابط أقوى.

3. الإشارة العلمية .

هي دلالة النص على معنى كوني أو متعلق بالإنسان يمكن فهمه في ضوء المعرفة العلمية، من غير أن يلزم من ذلك إثبات دعوى إعجازية بالمعنى الاصطلاحي القوي.

4. التوافق العلمي .

هو وجود تقارب أو توافق بين معنى صحيح يحتمله النص وبين حقيقة علمية ثابتة، دون أن يكون هذا التوافق وحده كافياً لإثبات الإعجاز.

ولهذا ينبغي للباحث ألا يجعل كل توافق إعجازاً، وألا يجعل كل تفسير علمي إعجازاً.

5. الحقيقة العلمية .

هي المعلومة التي ثبتت بالأدلة والمناهج العلمية واستقرت في المجال المختص استقراراً معتبراً. ومع ذلك ينبغي للباحث أن يتحرى درجة الاستقرار، وألا يصف كل معلومة متداولة بأنها حقيقة علمية.



6. النظرية العلمية .

النظرية في الاصطلاح العلمي ليست مجرد تخمين، بل إطار تفسيري تدعمه مجموعة من الأدلة والملاحظات. ومع ذلك فإن استعمال نظرية علمية في بناء دعوى إعجازية يحتاج إلى احتياط؛ لأن تفاصيل النظريات وتطبيقاتها قد تتطور وتتغير.

7. الفرضية .

هي تفسير أو تصور مقترح يحتاج إلى مزيد من الاختبار والتحقيق. ومن ثم لا يصح أن تُبنى دعوى الإعجاز على فرضية غير مستقرة، ثم تقدم للقارئ على أنها حقيقة علمية قطعية. والقاعدة الجامعة: ليس كل تفسير علمي إعجازاً، وليس كل توافق إعجازاً، وليس كل معلومة علمية حقيقة مستقرة؛ وإنما لكل دعوى درجتها التي تستحقها بحسب قوة الدليل.



المحاضرة الخامسة:

كيف يحكم الباحث على دعوى الإعجاز؟

من ضبط الدعوى إلى إصدار الحكم:

ليست المشكلة في كثرة ما يقال في الإعجاز العلمي، وإنما في القدرة على التمييز بين ما يصح أن يكون وجهًا من وجوه الدلالة، وما لا يعدو أن يكون توافقًا عابرًا، أو تفسيرًا محتملًا، أو تخمينًا للنص ما لا يحتمل.

ولهذا يحتاج الباحث إلى مسار عملي واضح يسير عليه قبل أن يصف أي علاقة بين النص الشرعي والكشف العلمي بأنها «إعجاز علمي».

ويمكن ضبط هذا المسار في خمس مراحل متتابعة:

أولاً: التحقق من ثبوت النص:

يبدأ الباحث بالنص قبل أن يبدأ بالكشف العلمي؛ لأن بناء دعوى الإعجاز على نص غير ثابت يفسد البحث من أساسه.

فإن كان النص آية قرآنية، وجب التحقق من سلامة نقلها وضبط موضعها وسياقها، وإن كان حديثًا نبويًا وجب التحقق من ثبوته ودرجته من مصادر الحديث المعتمدة.

وهذه الخطوة تبدو أولية، لكنها من أهم خطوات البحث؛ إذ لا يصح أن ننسب إلى القرآن أو السنة معنى إعجازيًا اعتمادًا على حديث ضعيف، أو رواية غير ثابتة، أو لفظ لم يثبت في النص.

القاعدة: لا يُبحث في إعجاز نص قبل التحقق من ثبوت النص نفسه.

ثانيًا: تحرير الدلالة اللغوية والتفسيرية:

بعد ثبوت النص ينتقل الباحث إلى السؤال الأهم:

ماذا يدل عليه النص في لغة العرب وسياقه؟



وهنا لا يكفي أن يكون اللفظ قابلاً من الناحية اللغوية لمعنى ما؛ بل ينبغي النظر في السياق، وسباق الكلام ولحاظه، واستعمال اللفظ في القرآن، وما قاله المفسرون في الآية. فإمكان اللفظ للمعنى لا يعني بالضرورة أن ذلك المعنى هو المراد منه. ومن هنا تظهر أهمية التمييز بين ثلاثة أمور: المعنى الذي يدل عليه النص دلالة واضحة. المعنى الذي يحتمله النص في حدود اللغة والسياق. المعنى الذي يُحمّل عليه النص تحميلاً بسبب اكتشاف علمي لاحق. والباحث المنضبط لا ينتقل من مجرد الاحتمال اللغوي إلى القطع بأن هذا هو مراد القرآن أو السنة.

القاعدة: كل دعوى علمية لا بد أن تبدأ من دلالة معتبرة للنص، لا من الاكتشاف العلمي ثم البحث عن لفظ يوافقه.

ثالثاً: تحرير الدعوى العلمية؛

وهنا ينبغي أن يسأل الباحث:

ما الذي أثبتته العلم بالفعل؟

فليس كل ما ينشر في كتاب أو موقع أو مقطع مرئي حقيقة علمية مستقرة.

وعليه أن يميز بين:

حقيقة علمية راسخة: ثبتت بأدلة وتجارب متكررة، واستقر عليها المجال العلمي استقراراً معتبراً.

نظرية علمية: إطار تفسيري واسع تدعمه الأدلة، لكنه يظل قابلاً للتطوير والنقاش من حيث

بعض تفاصيله وتطبيقاته.



فرضية: تفسير مقترح لم يبلغ درجة الاستقرار العلمي.

تفسير أو قراءة شخصية: قد تكون اجتهداً من صاحبها دون أن تكون حقيقة علمية متفقاً عليها.

ولهذا لا يجوز للباحث أن يبني دعوى الإعجاز على معلومة مجرد أنها شائعة أو متداولة في الإعلام.

القاعدة: لا يكفي أن تكون المعلومة «علمية» في ظاهرها؛ بل يجب تحرير درجتها العلمية قبل ربطها بالنص.

رابعاً: اختبار العلاقة بين النص والكشف العلمي:

بعد التحقق من النص ودلالته، وبعد التحقق من حقيقة الكشف العلمي، تأتي المرحلة الأكثر حساسية:

هل العلاقة بين النص والكشف العلمي علاقة معتبرة، أم مجرد توافق؟

ويختبر الباحث ذلك من خلال أسئلة متتابعة:

هل يحتمل النص هذا المعنى في لغته وسياقه؟

هل كان هذا المعنى حاضراً في كلام المفسرين، أو له أصل معتبر في دلالة النص؟

هل الحقيقة العلمية مستقرة أم قابلة للتغير؟

هل يحتاج الربط بين النص والكشف إلى لِيّ اللفظ أو إخراجه عن سياقه؟

هل أضاف الباحث إلى النص تفاصيل علمية لا يدل عليها؟

هل يمكن أن يقوم التفسير دون هذه الحقيقة العلمية، أم أن المعنى الأصلي للنص مستقل عنها؟

هل توجد قرائن متضافرة تجعل العلاقة أقوى من مجرد التشابه اللفظي أو التقارب في المعنى؟



فإذا كان الربط لا يقوم إلا على انتزاع لفظ من سياقه، أو اختيار معنى نادر للفظ، أو إسقاط تفاصيل علمية كثيرة على عبارة موجزة، وجب على الباحث أن يتوقف وألا يسارع إلى وصف ذلك بالإعجاز.

خامساً: إصدار الحكم العلمي:

بعد استكمال المراحل السابقة يستطيع الباحث أن يصنف الدعوى بدل أن يتعامل معها بمنطق «إما إعجاز وإما خطأ».

ويمكن أن تكون النتيجة واحدة من الحالات الآتية:

1. إعجاز علمي محتمل

وذلك عندما تكون الدلالة اللغوية معتبرة، والحقيقة العلمية مستقرة، والعلاقة بينهما قوية، مع بقاء مجال لاحتمال النظر والاجتهاد.

وهنا يستخدم الباحث لغة منضبطة، مثل:

«...يظهر في الآية توافق قوي مع الحقيقة العلمية».

ولا يسارع إلى الجزم بأن هذا هو المعنى الوحيد للآية.

2. توافق أو إشارة علمية

وقد يجد الباحث أن النص يتضمن إشارة صحيحة إلى حقيقة كونية، لكن الأدلة لا تكفي لجعلها دعوى إعجاز بالمعنى الاصطلاحي القوي.

وفي هذه الحالة يكون وصفها بـ«الإشارة العلمية» أو «التوافق العلمي» أكثر احتياطاً.

3. تفسير علمي يحتاج إلى احتياط

وذلك عندما يكون الربط بين النص والمعرفة العلمية ممكناً من جهة اللغة، لكنه يعتمد على تفسير حديث أو على معطيات قابلة للتطور.

وهنا يذكر الباحث ذلك بوصفه اجتهداً تفسيرياً، لا حقيقة نهائية.



دعوى متكلفة 4.

وتكون عندما لا يستقيم الربط إلا بتجاوز اللغة والسياق، أو بإقحام تفاصيل لا يدل عليها النص، أو باختيار أرقام وانتقادات لا يقوم عليها منهج معتبر. وفي هذه الحالة يجب على الباحث أن يصرح بعدم صحة الدعوى، ولو كانت منتشرة في بعض المؤلفات أو الوسائل الإعلامية.

دعوى غير ثابتة علمياً 5.

وذلك عندما يتبين أن الأساس العلمي نفسه غير صحيح، أو أن المعلومة المنسوبة إلى العلم غير ثابتة، أو أن المصدر الذي بنيت عليه الدعوى لا يقدم دليلاً معتبراً. وهنا لا يكفي القول إن «المعنى جميل» أو إن «الآية تحتل ذلك»، لأن البحث العلمي لا يقوم على جمال التوافق، وإنما على قوة الدليل.

نموذج عملي مختصر:

يمكن للباحث أن يضع أمامه هذا الاختبار قبل كتابة أي دعوى إعجازية:

النص ثابت؟



الدلالة اللغوية والسياقية صحيحة؟



المعلومة العلمية ثابتة ومستقرة؟



العلاقة بين النص والمعلومة علاقة حقيقية وليست مجرد تشابه؟



هل خلت الدعوى من التكلفة وإقحام التفاصيل؟



ما درجة الحكم التي تستحقها الدعوى؟

وعند هذه النقطة فقط يختار الباحث عبارته النهائية:

إعجاز محتمل — توافق أو إشارة علمية — تفسير علمي محتمل — دعوى متكلفة —
دعوى غير ثابتة.

وهذا التدرج يحمي الباحث من خطأين متقابلين:

الأول: أن يرفض كل علاقة بين القرآن والحقائق الكونية لمجرد سوء استعمال بعض الباحثين للإعجاز العلمي.

والثاني: أن يقبل كل توافق بين نص شرعي ومعلومة علمية على أنه إعجاز قطعي.
والمنهج الصحيح لا يقوم على الرفض المطلق ولا على القبول المطلق، وإنما على تحرير النص،
وتحرير العلم، ثم تحرير العلاقة بينهما.

خلاصة المحاضرة:

إن الباحث في الإعجاز العلمي لا يحتاج إلى أن يثبت أن كل اكتشاف علمي موجود في القرآن،
وإنما يحتاج إلى أن يكون أميناً في تحديد ما يدل عليه النص، وما أثبتته العلم، وما يمكن أن يقال في
العلاقة بينهما.

فإذا استقامت هذه المراحل، أصبح الحكم أقرب إلى الانضباط، وأبعد عن التسرع.

والقاعدة الجامعة:

لا تبدأ من الاكتشاف لتبحث له عن آية، بل ابدأ بالنص، فحرر دلالاته، ثم حرر الحقيقة
العلمية، ثم اختبر العلاقة بينهما، وبعد ذلك فقط أصدر الحكم.



أخطاء الباحث قبل أخطاء التفسير:

أخطاء في بناء الدعوى العلمية:

قد يقع الخطأ في بعض البحوث قبل الوصول إلى مرحلة تفسير الآية نفسها؛ إذ يكون الخلل في طريقة جمع المادة العلمية أو اختيارها أو نقلها.

ومن أبرز هذه الأخطاء:

1. انتقاء المعلومة التي توافق النتيجة مسبقاً

قد يبدأ الباحث باكتشاف علمي أو فكرة يريد إثباتها، ثم يبحث عن آية يمكن أن توافقها، فيصبح النص تابعاً للنتيجة بدل أن يكون هو نقطة الانطلاق. والمنهج المنضبط يقتضي أن يبدأ الباحث بتحرير النص ودلالته، ثم ينظر في مدى علاقته بالحقبة العلمية.

2. الاعتماد على المصادر غير المتخصصة.

ليس كل ما ينشر في المواقع أو الكتب الدعوية أو المقاطع المرئية يصلح أن يكون مصدراً لإثبات حقيقة علمية.

فإذا كانت الدعوى طيبة، رجع الباحث إلى المصادر الطبية المتخصصة، وإذا كانت فلكية أو فيزيائية رجع إلى المصادر المتخصصة في المجال نفسه.

3. نقل الدعوى دون الرجوع إلى أصلها

من الأخطاء الشائعة أن ينقل الباحث عبارة مثل: «أكد العلماء أن...» دون معرفة من هم هؤلاء العلماء، وما مصدر القول، وهل يتحدثون عن حقيقة مستقرة أم عن تفسير أو فرضية. والتوثيق العلمي لا يكون بكثرة الأسماء، وإنما بالرجوع إلى المصدر الذي يثبت الدعوى.



4. الخلط بين رأي الباحث وحقيقة العلم

قد يرى الباحث أن اكتشافاً معيناً يوافق الآية، فيتحول هذا الرأي أثناء الكتابة إلى عبارة قطعية، وكأن العلم نفسه قرر هذه العلاقة. وهذا من أخطر مواضع الخلط؛ لأن الحقيقة العلمية شيء، وتفسير الباحث للنص في ضوءها شيء آخر.

5. استعمال القطع في موضع الاحتمال

من الأمانة العلمية أن تتناسب العبارة مع قوة الدليل. فإذا كانت العلاقة قوية ولكنها لا تبلغ درجة القطع، قيل: «يظهر»، أو «يمكن أن يفهم»، أو «يحتمل»، أو «يتوافق».

أما إذا كان الدليل لا يثبت أصل الدعوى، فلا يجوز أن تُنقل بصيغة الجزم.

6. تحويل الاكتشاف إلى معنى حصري للنص

قد يثبت أن معنىً علمياً معيناً يمكن أن يندرج تحت الآية، لكن ذلك لا يعني بالضرورة أنه المعنى الوحيد الذي أراده الآية.

ومن هنا ينبغي المحافظة على الفرق بين إمكان المعنى وحصر المراد فيه. والقاعدة:

قد يكون الخطأ في دعوى الإعجاز سابقاً على التفسير نفسه؛ ولذلك فإن نقد المنهج الذي أنتج الدعوى لا يقل أهمية عن نقد تفسيرها.



المحاضرة السادسة:

أبرز عثرات التفسير العلمي: عرض نقدي لتأويل وجناية التكلف:

أولاً: تفكيك النماذج التطبيقية المتكلفة:

النموذج الأول: ربط السماوات السبع بطبقات الغلاف الجوي:

من أشهر الدعاوى المتداولة في بعض كتابات الإعجاز العلمي المعاصرة الربط بين قوله تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: 3] وبين طبقات الغلاف الجوي السبع.

وهذا الربط يحتاج إلى احتياط شديد؛ لأن السماوات السبع في النص القرآني مفهوم أوسع من طبقات الغلاف الجوي، ولا يصح الجزم بأن المقصود بالسماوات السبع هو طبقات الغلاف الجوي لمجرد وجود توافق عددي أو تشابه في التقسيم.

كما أن القرآن الكريم ذكر السماء الدنيا وزينتها بالكواكب، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: 5].

ولهذا لا يصح حصر السماوات السبع في ظاهرة فيزيائية أرضية محدودة دون دليل من النص أو اللغة أو التفسير.

الحكم المنهجي:

القول بأن السماوات السبع هي طبقات الغلاف الجوي دعوى لا يثبت بها الإعجاز العلمي، ولا ينبغي تقديمها للطلاب على أنها حقيقة قرآنية علمية قطعية.

النموذج الثاني:

دعوى تحديد تركيب الحمض النووي DNA من آيات خلق الإنسان:

توجد بعض المحاولات التي تربط آيات خلق الإنسان، أو أعداد السور والآيات، ببنية الحمض النووي أو عدد الكروموسومات، وتقدم هذه الروابط على أنها كشف قرآني دقيق.



وهذا النوع من الاستدلال يحتاج إلى احتياط شديد؛ لأنه يقوم غالبًا على توافقات عديدة أو تأويلات بعيدة لا يدل عليها النص دلالة مباشرة.

كما أن علوم الوراثة والأحياء الجزيئية علوم واسعة ومتطورة، ولا يصح ربط النص القرآني القطعي بنموذج علمي تفصيلي ثم الجزم بأن هذا النموذج هو المراد من النص.

الحكم المنهجي:

لا يصح اعتماد التوافقات العددية أو التشابهات المادية وحدها لإثبات الإعجاز، ما لم تتوافر دلالة لغوية معتبرة، ووجه علمي ثابت، ومنهج استدلال واضح.

النموذج الثالث: ربط آيات نشأة الكون بتفاصيل نظرية الانفجار العظيم؛

من الآيات التي يكثر الاستدلال بها في هذا الباب قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: 30].

وقد ذهب بعض الباحثين إلى الربط المباشر بين الآية ونظرية الانفجار العظيم.

والمنهج الصحيح يقتضي التفريق بين الإشارة العامة إلى بداية الخلق أو انفصال بعض الموجودات وبين الجزم بأن الآية تقرر بكل تفاصيلها نموذجًا فيزيائيًا معاصرًا.

فنظرية الانفجار العظيم نموذج علمي واسع له أدلة ومناقشات وتطورات في تفسير نشأة الكون، ولا يصح تحويله إلى المعنى الوحيد للآية.



الحكم المنهجي:

يمكن دراسة الآية في ضوء المعارف الكونية الحديثة، ويمكن أن يظهر بينها وبين بعض التصورات العلمية وجه توافق أو إشارة محتملة، لكن الخطأ المنهجي هو القطع بأن جميع التفاصيل الفيزيائية للنظرية هي المراد الإلهي الحصري من الآية.

ثانياً: المعايير النقدية لفحص أي دعوى إعجاز علمي:

لكي يتحول النقد إلى أداة عملية في يد الطالب والباحث، يمكن اعتماد الفلتر المعياري الآتي:

هل النص ثابت صحيح؟ ولا سيما إذا كان حديثاً نبوياً.

هل المعنى اللغوي يحتمل هذا التفسير من غير تكلف؟

هل السياق القرآني يساعد عليه ويوجهه؟

هل قال به أحد من المفسرين، أو يمكن استنباطه دون تعسف؟

هل القضية العلمية حقيقة مستقرة، أم نظرية أو فرضية قابلة للتغير؟

هل توجد تفسيرات علمية أخرى للمسألة؟

هل يؤدي التفسير المادي إلى إلغاء المعنى الإيماني الأصلي للآية؟

هل اعتمد الباحث على مصادر علمية محكمة وموثوقة؟

هل صياغة الباحث علمية منضبطة، أم دعائية مثيرة؟

وإذا اختلف واحد من هذه المعايير، وجب التوقف والتحقق قبل إطلاق دعوى الإعجاز، لا أن

يحكم الباحث بالرفض المطلق دون دراسة.



ثالثاً: جناية التكلف على الدعوة الإسلامية المعاصرة:

إن الاندفاع في نشر دعاوى الإعجاز العلمي غير المنضبطة قد يترتب عليه عدد من المفاسد الدعوية، من أهمها:

(1) اهتزاز ثقة بعض الشباب

إذا رُبط الإيمان بدعوى علمية قائمة على نظرية قابلة للتغير، ثم تغيرت النظرية أو ظهر ضعفها، فقد يظن بعض الناس أن سقوط الدعوى العلمية يعني سقوط القرآن، وهذا خطأ في أصل المنهج.

(2) إظهار القرآن وكأنه تابع للعلوم المتغيرة

الوحي هو الأصل في الهداية، والعلم التجريبي وسيلة من وسائل معرفة بعض سنن الكون. ولذلك لا ينبغي أن يقدم القرآن على أنه ينتظر المختبر حتى يثبت صدقه.

(3) صرف الناس عن مقصد الهداية والتدبر

فإذا تحولت مجالس تدبر القرآن إلى مجرد نقاشات في الكيمياء والفيزياء والأحياء، فقد يضيع المقصد الأكبر من القرآن، وهو الهداية والتزكية والإصلاح.



المحاضرة السابعة:

مناهج المفسرين وعلم تقويم النصوص: التراث بين النظر والتأويل:

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن الولوج إلى مجال التفسير العلمي والإعجاز دون معرفة مناهج علماء الأمة في التعامل مع الآيات الكونية قد يؤدي إلى القفز على مراحل مهمة من تاريخ التفسير.

فالنص القرآني لم يبدأ فهمه في عصرنا، وإنما مر بمراحل تفسيرية متعددة، نشأت خلالها مدارس ومناهج متنوعة بحسب اختلاف البيئات العلمية والمعرفية.

وتأتي هذه المحاضرة لتربط الباحث المعاصر بجذور التفسير التراثي، وتعرفه بأهم مسالك العلماء في التعامل مع الآيات الكونية، ثم تقدم له أدوات منهجية تساعد على بناء تفسير منضبط بعيد عن السطحية والارتجال.

أولاً: الخارطة التاريخية لمناهج المفسرين في التعامل مع الآيات الكونية:

يمكن النظر إلى المناهج التفسيرية في هذا الباب من خلال نماذج بارزة، مع التنبيه إلى أن هذا التقسيم تقريبي تعليمي وليس حصراً لجميع مدارس التفسير.

1) مدرسة التفسير بالمأثور

من أبرز أعلامها: الصحابة والتابعون، ثم أئمة التفسير بالمأثور، ومنهم الطبري والبخاري وابن كثير.

وقد غلب على هذا الاتجاه الاعتماد على اللغة والآثار والسياق، والنظر إلى الآيات الكونية باعتبارها دلائل على قدرة الله ووحدانيته وحكمته.



فالشمس والقمر والجبال والسحاب وغيرها من مخلوقات الله ليست مجرد موضوعات للبحث المادي، وإنما هي آيات تدعو إلى الاعتبار والتفكير.

(2) المدرسة الكلامية والفلسفية

ومن أبرز أعلامها الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة 606هـ، صاحب مفاتيح الغيب. وقد انفتح الرازي على علوم عصره، ومنها الفلك والطب والطبيعة والفلسفة، واستفاد منها في مناقشة قضايا عقدية وفكرية وتفسيرية.

ومن خصائص تفسيره الاستطراد في بعض المسائل الكونية والفلسفية والعقلية. ومن ذلك مناقشته عددًا من المسائل المتعلقة بالكون والأرض والفلك في أثناء تفسير الآيات. التقييم النقدي:

تكشف تجربة الرازي عن إمكان الإفادة من علوم العصر في الحوار مع النص، لكنها تكشف كذلك ضرورة التمييز بين الوحي الثابت والمعرفة البشرية المتغيرة؛ لأن بعض التصورات العلمية التي كانت مقبولة في عصره تغيرت بعد ذلك.

وهذا لا يطعن في القرآن، وإنما يبين أن التفسير البشري قابل للمراجعة والتصحيح.

(3) المدرسة العلمية الحديثة

ومن أشهر ممثلي هذا الاتجاه الشيخ طنطاوي جوهرى المتوفى سنة 1358هـ، صاحب الجواهر في تفسير القرآن الكريم.

وقد توسع في عرض العلوم الطبيعية والكونية وربطها بآيات القرآن، وقدم في تفسيره مادة علمية واسعة.

وقد انتقد بعض العلماء هذا الاتجاه خشية أن يؤدي التوسع فيه إلى تحويل القرآن من كتاب هداية وتشريع إلى موسوعة للعلوم التجريبية، أو إلى حمل بعض الآيات على تفاصيل علمية لا يدل عليها النص دلالة كافية.



التقييم المنهجي:

تجربة طنطاوي جوهري مهمة في تاريخ التفسير؛ لأنها تكشف محاولة جادة للحوار مع المعرفة الحديثة، لكنها في الوقت نفسه تؤكد الحاجة إلى ضوابط تمنع التوسع غير المنضبط.

(4) الاتجاه الوسطي المنضبط

يقوم هذا الاتجاه على الجمع بين احترام التراث، والاستفادة من العلوم الحديثة، مع عدم جعل النظريات العلمية حاکمة على النص.

ومن الأسماء التي يمكن دراسة منهجها في هذا السياق محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، مع ضرورة عدم نسبة كل تفاصيل المنهج المعاصر في الإعجاز العلمي إليه؛ لأن مصطلح الإعجاز العلمي بصيغته الحديثة له سياق مختلف.

والقاعدة في هذا الاتجاه:

لا يُرفض التوافق العلمي لمجرد حدثه، ولا يُقبل لمجرد موافقته للعلم الحديث، وإنما يُدرس في ضوء اللغة والسياق ودرجة ثبوت الحقيقة العلمية.

ثانياً: أدوات تقويم النصوص:

إن تقويم النص في مجال الإعجاز العلمي يعني: تحديد دلالاته الصحيحة، وحمايته من التأويل الفاسد، ومقارنة ما يحتمله النص بما يثبت في المعرفة العلمية.

ويتطلب ذلك عددًا من الأدوات:

الأداة الأولى: الوضع اللغوي ومراعاة الحقيقة العرفية زمن النزول:

ينبغي ألا ينزع الباحث اللفظ من سياقه اللغوي التاريخي ثم يلبسه اصطلاحًا علميًا حديثًا. فالمعاني اللغوية والشرعية والسياقية مقدمة على المصطلحات الحادثة.

مثال: قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: 15-16].



لا يصح الجزم بأن الجوار الكنس تعني الثقوب السوداء مجرد وجود بعض أوجه التشابه بين الوصفين.

بل يجب أولاً دراسة أقوال أهل التفسير واللغة، ثم النظر في إمكان وجود دلالة علمية معتبرة دون إلغاء المعنى الأصلي.

والمنهج الصحيح أن يبقى المعنى اللغوي والتفسيري معتبراً، وألا تُربط الآية بظاهرة علمية حديثة على سبيل القطع دون دليل.

الأداة الثانية: التمييز بين التفسير والتأويل والجريان المجازي:

التفسير:

هو بيان معنى النص ودلالته اعتماداً على الأدلة اللغوية والشرعية والسياقية.

التأويل:

قد يستعمل بمعانٍ متعددة عند العلماء، ولذلك لا ينبغي حصره في معنى واحد، وفي باب الإعجاز العلمي ينبغي ألا يُصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر إلا بدليل معتبر.

الجريان مع المعنى:

يمكن للفظ القرآني أن يتسع لبعض الدلالات والاعتبارات التي تظهر للناس في عصور مختلفة، بشرط ألا تؤدي هذه الدلالات إلى إلغاء المعنى الأصلي أو ادعاء أن الاكتشاف الحديث هو المراد الوحيد من الآية.

وهذا من أهم الضوابط التي يحتاج إليها الباحث المعاصر.

ثالثاً: دراسة نقدية تطبيقية للاتجاه التوسعي:

دراسة حالة: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].



التفسير التراثي؛

ورد عن المفسرين في معنى ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ معانٍ تتصل بالقدرة والسعة، ومن ذلك سعة قدرة الله تعالى، وما يتعلق بسعة خلقه ورزقه.

الطرح العلمي الحديث؛

يربط بعض الباحثين الآية مباشرة بظاهرة تمدد الكون، ويجعل ذلك هو المعنى الوحيد للفظ. التوجيه المنهجي:

يمكن للباحث أن يدرس مدى توافق لفظ ﴿لَمُوسِعُونَ﴾ مع المعارف الفلكية الحديثة، لكن لا يصح أن يقال إن تفسير السلف كان خطأ، وإن المعنى الحقيقي الوحيد للآية هو تمدد الكون. فالمنهج العلمي الرصين يقتضي احترام الدلالة التفسيرية الموروثة، ثم دراسة ما يمكن أن تضيفه المعرفة الحديثة من أوجه تدبر أو توافق.

وعليه يمكن أن يقال:

إن الآية تحمل دلالة على سعة قدرة الله تعالى وخلقها، ويمكن أن يتوافق لفظها - في بعض وجوه دلالتها - مع ما أثبتته علم الفلك الحديث من اتساع الكون، دون أن يعني ذلك إلغاء التفسير المأثور أو حصر الآية في النظرية الفلكية المعاصرة.

رابعاً: أسئلة التقويم والواجب المنزلي؛

قارن بين منهج فخر الدين الرازي ومنهج طنطاوي جوهرى في التعامل مع الآيات الكونية، مبيناً أبرز الملاحظات المنهجية على كل منهما.

ما المقصود بعموم اللفظ واتساع دلالاته؟ طَبِّقْ ذلك على آية تختارها، مع بيان حدود الاستفادة من العلوم الحديثة فيها.

اختر قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: 88].



ثم اجمع أقوال المفسرين فيها، وناقش: هل الآية تتحدث عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، أم يمكن أن تتضمن وجهًا آخر يتعلق بحركة الأرض؟ ثم يبين كيف تطبق قواعد تقويم النصوص على هذه المسألة.

اشرح العبارة الآتية:

«السياق والوضع اللغوي التاريخي هما صمام الأمان لعملية التفسير».

ويبين كيف يحميان الباحث من الوقوع في التفسير المتكلف، مثل حصر قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ في تفسير علمي واحد دون دليل.

خلاصة المحاضرة:

إن الباحث في الإعجاز العلمي لا يبدأ من الاكتشاف ثم يبحث له عن آية، وإنما يبدأ بالنص، ويفهمه في لغته وسياقه وتفسيره، ثم ينظر في المعارف العلمية الثابتة، وبعد ذلك يوازن بين الدالتين.

وهذه المنهجية تحفظ للقرآن جلاله، وللعلم مجاله، وللباحث أمانته العلمية.

والقاعدة الجامعة:

لا نجعل العلم حاكمًا على الوحي، ولا نغلق باب التدبر في آيات الكون، وإنما نطلب التوافق المنضبط بين الدلالة الشرعية والمعرفة العلمية الثابتة.



المحاضرة الثامنة

فلسفة العلم والحديث وعلم الإلحاد: جسر الحوار وبرهان المحنة المعرفية

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل له عقلاً يتدبر به آيات الأكوان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان؛ أما بعد:

فإن من أبرز التحديات المعرفية التي تواجه الباحث والداعية في العصر الحديث محاولة حصر المعرفة في نطاق العلم التجريبي وحده، ثم بناء موقف فكري يجعل ما لا يخضع للتجربة الحسية خارج دائرة المعرفة المعتمدة.

وقد أسهم هذا التصور في نشوء ما يعرف في الفكر المعاصر بـ العلموية (Scientism)، وهي نزعة تجعل العلم التجريبي الطريق الوحيد أو الأهم إلى المعرفة المعتمدة، وتتجاوز بذلك حدود المنهج التجريبي إلى تقرير قضايا فلسفية لا يستطيع المنهج التجريبي وحده إثباتها.

ومن هنا تأتي أهمية هذه المحاضرة؛ إذ تهدف إلى تعريف الطالب بحدود العلم التجريبي وبعض مباحث فلسفة العلم، ثم بيان كيفية توظيف الإعجاز العلمي المنضبط في الحوار الفكري، دون تحويله إلى دعوى قطعية في مواضع لا تحتل القطع.

أولاً: مبادئ إبستمولوجية وحدود العلم التجريبي:

لكي يستطيع الباحث الحوار مع الاتجاهات الفكرية المعاصرة، فإنه يحتاج إلى قدر من الوعي بمنهج المعرفة وحدود العلوم التجريبية.



ومن أهم المبادئ التي تفيد في هذا الباب:

1. القابلية للاختبار والتفنيد عند كارل بوبر

ارتبط اسم فيلسوف العلم كارل بوبر بمبدأ قابلية الاختبار والتفنيد، حيث رأى أن من سمات القضايا التي تدخل في مجال العلم التجريبي إمكان اختبارها على نحو يسمح من حيث المبدأ بتفنيدها.

وتفيد هذه الفكرة في بيان أن النظريات العلمية ليست نصوصاً مقدسة لا تقبل المراجعة، وإنما هي نماذج تفسيرية قابلة للاختبار والتعديل.

الأثر المنهجي:

إذا كانت النظريات العلمية قابلة للمراجعة والتغيير، فلا يصح أن يجعل الباحث نصاً شرعياً قطعي الثبوت تابعاً لنظرية علمية لم تستقر.

ولهذا فإن ربط القرآن الكريم بفرضية علمية متغيرة قد يؤدي إلى إشكال منهجي؛ لأن تغير الفرضية لا ينبغي أن يترتب عليه تغير فهم أصل الوحي.

2. تحولات النماذج العلمية عند توماس كوهن

بين توماس كوهن في كتابه بنية الثورات العلمية أن تطور العلم لا يسير دائماً في صورة تراكم خطي بسيط، بل قد تحدث تحولات كبيرة في النماذج التفسيرية التي يعتمد عليها العلماء.

ومن أمثلة ذلك التحولات التاريخية في التصورات الفلكية والفيزيائية.

الأثر المنهجي:

يدعو هذا إلى قدر من التواضع العلمي؛ فلا ينبغي للباحث أن يربط النص الشرعي بنموذج علمي مجرد شيوعه في عصره.

والأولى أن تكون الدعوى العلمية التي يبنى عليها الاستدلال راسخة ومستقرة ومؤيدة بأدلة قوية، مع التمييز بين الحقيقة العلمية الراسخة وبين النموذج التفسيري القابل للمراجعة.



3. حدود المنهج التجريبي

العلم التجريبي منهج متخصص في دراسة الظواهر التي يمكن ملاحظتها واختبارها، ولهذا فإن مجاله لا يشمل كل الأسئلة التي يطرحها الإنسان.

فهناك أسئلة تتعلق بالغاية والمعنى والقيم، وأسئلة تتصل بالغيب، وهذه لا يمكن إخضاعها للمختبر بالطريقة نفسها التي تخضع بها الظواهر المادية للملاحظة والتجربة.

ومن هنا ينبغي التفريق بين السؤال:

كيف تحدث الظاهرة؟

وبين السؤال:

ما غاية وجودها؟

فالأول قد يكون من اختصاص العلوم التجريبية، أما الثاني فقد يتجاوز مجالها إلى الفلسفة والدين.

وعليه، فالعلم والوحي ليسا بالضرورة خصمين؛ بل لكل منهما مجاله، مع إمكان الحوار بينهما في القضايا التي تتصل بهما.

ثانياً: العلموية في الخطاب الإلهادي:

تعريف العلموية:

العلموية نزعة فكرية تجعل العلم التجريبي المصدر الوحيد أو المعيار الأعلى للمعرفة، وتتعامل مع ما لا يمكن إخضاعه للتجربة الحسية على أنه غير جدير بالاعتبار المعرفي.

وينبغي هنا التفريق بين العلم التجريبي نفسه، وهو منهج مهم في دراسة العالم المادي، وبين العلموية بوصفها موقفاً فلسفياً يتجاوز حدود هذا المنهج.



نقد النزعة العلمية:

(1) مشكلة الدعوى التي تتجاوز مجال العلم

عندما يقال:

«لا توجد حقيقة إلا ما أثبتته العلم التجريبي».

فإن هذه العبارة نفسها ليست نتيجة تجربة مخبرية، وإنما هي دعوى فلسفية تحتاج إلى تبرير خارج حدود التجربة نفسها.

وهذا لا يعني إبطال قيمة العلم التجريبي، وإنما يعني ضرورة التمييز بين العلم بوصفه منهجاً تجريبياً وبين العلموية بوصفها موقفاً فلسفياً شاملاً.

(2) اعتماد العلم على مبادئ عقلية .

العلم التجريبي نفسه لا يبدأ من فراغ، بل يعتمد على جملة من المبادئ العقلية والمنطقية، مثل إمكان الاستدلال، وعدم التناقض، وإمكان التعرف إلى العلاقات بين الظواهر، والثقة النسبية في أدوات الملاحظة والاستدلال.

وهذه قضايا أوسع من أن تكون مجرد نتائج لتجربة مخبرية واحدة.

ولهذا فإن الحوار مع النزعة المادية يحتاج إلى نقاش أصول المعرفة نفسها، لا إلى الاختصار على عرض نتائج علمية منفردة.

ثالثاً: توظيف الإعجاز العلمي المنضبط في الحوار الفكري:

إذا ثبتت حقيقة علمية ثبوتاً قوياً، ووجد الباحث نصاً شرعياً ثابتاً يحتمل دلالتها من جهة اللغة والسياق، أمكن دراسة العلاقة بين النص والمعرفة العلمية دراسة منهجية.

لكن ينبغي الحذر من الانتقال مباشرة من وجود توافق إلى القول بأن النتيجة العقلية الوحيدة هي إثبات مصدر النص.



فالأدق في لغة البحث أن يقال:

إن اجتماع النص الثابت، والدلالة اللغوية المعتمدة، والحقيقة العلمية الراسخة، وظهور وجه السبق أو الخصوصية؛ يمكن أن يشكل قرينة قوية في الاستدلال على صدق الوحي ومصدره الإلهي. أما القطع فيحتاج إلى استكمال مقدمات الاستدلال وإثباتها، ولا ينبغي إطلاقه لمجرد وجود توافق علمي.

رابعاً: منهجية الاستدلال بالسبق المعري:

يمكن بناء الاستدلال في هذا الباب على مراحل:

تثبيت النص الشرعي.

بيان دلالة اللغوية والسياقية.

الرجوع إلى التفسير المعتمد وشروح السنة عند الحاجة.

إثبات الحقيقة العلمية من مصادر علمية موثوقة.

بيان درجة استقرار هذه الحقيقة.

بحث إمكان وصول البشر في زمن النزول إلى المعرفة المذكورة، دون افتراضات تاريخية غير موثوقة.

بيان وجه الخصوصية أو السبق إن كان ثابتاً.

إصدار الحكم بلغة تتناسب مع قوة الأدلة.

وبذلك يصبح الاستدلال أكثر قوة وأمانة من القفز مباشرة إلى النتيجة.

خامساً: الاستدلال بالظروف التاريخية:

قد يستفيد الباحث من دراسة البيئة العلمية والتاريخية التي نزل فيها القرآن الكريم، ولكن

ينبغي أن يقوم ذلك على معلومات تاريخية موثوقة، لا على افتراض أن الجزيرة العربية كانت منفصلة

تماماً عن كل المعارف والحضارات الأخرى.



فوجود اتصال تجاري أو ثقافي في العالم القديم لا يعني بالضرورة أن المعرفة العلمية التفصيلية كانت متاحة لكل فرد، كما أن مجرد عدم ثبوت المصدر البشري لا يكفي وحده لإثبات الإعجاز. ولهذا ينبغي أن تكون الدراسة التاريخية جزءاً من منظومة الاستدلال، لا أن تكون وحدها أساس الحكم.

سادساً: عدم المبالغة في دعوى استحالة الصدفة:

لا يصح للباحث أن يقرر - من غير حساب علمي أو رياضي واضح - أن اجتماع عدد من التوافقات العلمية في النص يستحيل رياضياً أن يكون من قبيل المصادفة. بل ينبغي أن تدرس كل دعوى على حدة، وأن يبين الباحث مقدماتها ودرجة قوتها، ثم يترك الحكم للمنهج العلمي. والأدق أن يقال:

إن تراكم قرائن مستقلة قوية، إذا ثبتت دلالتها واستقلت مقدماتها، قد يعزز الاستدلال على مصداقية الوحي، دون الجزم باستحالة رياضية لم تثبت مقدماتها.

سابعاً: واجب منزلي وتقويم:

اشرح مفهوم القابلية للتفنيد عند كارل بوبر، وبين أثره في التعامل مع النظريات العلمية عند دراسة الإعجاز العلمي.

ما المقصود بالعلمية؟ وما الفرق بينها وبين العلم التجريبي؟

بين لماذا يحتاج العلم التجريبي إلى مبادئ عقلية ومنطقية لا يستمدّها كلها من التجربة المباشرة. اكتب حواراً بين داعية وباحث متأثر بالعلمية، يوضح فيه الداعية الفرق بين الحقيقة العلمية والنظرية العلمية، ثم يبين كيفية التعامل المنضبط مع أمثلة الإعجاز العلمي.



المحاضرة التاسعة

مختبر الباحث المعيارى:

الورشة التطبيقية التفاعلية لصناعة العقلية الناقدة

مقدمة:

إن الغاية من التعليم الأكاديمي الرصين ليست جمع المعلومات فحسب، وإنما بناء الملكة النقدية لدى الطالب والباحث.

وفي مجال الإعجاز العلمي تزداد أهمية التدريب العملي؛ لأن الطالب يواجه في وسائل الإعلام ومواقع التواصل ومقاطع الفيديو عدداً كبيراً من الدعاوى التي تختلف في قوتها العلمية والمنهجية. ومن هنا تأتي هذه المحاضرة بوصفها ورشة تطبيقية تساعد الطالب على استخدام المعايير التي سبق تقريرها في فحص الدعاوى العلمية.

أولاً: إستراتيجية إدارة الورشة التطبيقية:

يمكن للأستاذ إدارة الورشة من خلال المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: عرض المادة:

يقدم الأستاذ مادة تتضمن دعوى إعجازية، مثل مقطع فيديو أو مقال أو فقرة من كتاب.

المرحلة الثانية: تفكيك الدعوى:

يقسم الطلاب إلى مجموعات صغيرة، ويطلب من كل مجموعة فحص الدعوى وفق المعايير المنهجية المقررة.

المرحلة الثالثة: إصدار الحكم:

تقدم كل مجموعة حكمها النهائي، مع بيان أسباب القبول أو التوقف أو الرفض.



المرحلة الرابعة: الصياغة البديلة:

إذا تبين أن أصل الدعوى قابل للدراسة، يتولى الطلاب إعادة صياغتها بلغة علمية أكثر انضباطاً.

ثانياً: دراسة حالة تطبيقية:

الحالة الأولى: دعوى استخراج سرعة الضوء من أعداد القرآن:

تعرض بعض المواد الدعائية محاولات لربط أعداد الآيات والصور بحساب سرعة الضوء، من خلال عمليات عددية متعددة وربطها بحركة القمر.

الفحص المنهجي:

ينبغي أولاً السؤال:

هل يدل سياق الآيات على إجراء هذه الحسابات؟

هل الطريقة العددية ثابتة أم يمكن تغييرها بتغير مناهج العد؟

هل توجد دلالة لغوية تربط الآيات بسرعة الضوء؟

هل يمكن إعادة إنتاج النتيجة بالطريقة نفسها دون انتقاء الأرقام المناسبة؟

ومتى كانت الدعوى قائمة على عمليات عددية انتقائية لا يدل عليها النص، فلا يصح تقديمها على أنها إعجاز قرآني.

الحكم:

لا تثبت دعوى الإعجاز بمجرد التوافقات العددية، ولا سيما إذا لم تستند إلى دلالة لغوية وسياقية واضحة ومنهج حساسي قابل للفحص وإعادة الاختبار.



ثالثاً: دراسة حالة حديث الذباب:

من الأحاديث التي يستدل بها في هذا الباب حديث الذباب، وفيه:
((إذا وقع الذباب في شراب أحكم فليغمسه، ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء، وفي الأخرى شفاء)).

وقد ورد الحديث في صحيح البخاري.

الفحص الحديثي:

الحديث ثابت في صحيح البخاري، ولذلك يصح من حيث الأصل أن يدرس الباحث دلالاته دراسة علمية.

الفحص الطبي:

أما ما يضاف إلى الحديث من نتائج طبية محددة، كدعوى أن غمس الذباب يعالج السرطان أو الفيروسات، فلا يجوز نسبته إلى الحديث دون دراسات علمية محددة ومحكمة تثبت هذه النتائج. وكذلك فإن وجود كائنات دقيقة أو مواد ذات خصائص مضادة لبعض الكائنات الدقيقة لا يكفي وحده لإثبات أن الذباب علاج عام للأمراض معينة.

الحكم المنهجي:

ثبوت الحديث شيء، وإثبات تفسير طبي تفصيلي له شيء آخر. وعليه:

لا يصح تحويل الحديث إلى وصفة علاجية عامة للسرطان أو الفيروسات، ولا نسبة نتائج طبية محددة إلى الحديث إلا بعد توثيقها من مصادر طبية محكمة.

وهذا هو الفرق بين دراسة الحديث دراسة علمية وبين توسيع دلالاته بما لا يثبت النص ولا البحث الطبي.



رابعاً: دليل الصياغة الأكاديمية للبحوث:

عند تكليف الطلاب ببحوث في الإعجاز العلمي، يستحسن أن تلتزم الورقة العلمية ببنية واضحة:

(1) المقدمة

وتتضمن:

مشكلة البحث.

أهمية الموضوع.

سبب اختياره.

المنهج المتبع.

حدود البحث.

(2) المبحث الأول: التحقيق التراثي

ويشمل:

دراسة ألفاظ النص في كتب اللغة.

جمع أقوال المفسرين.

دراسة السياق.

بيان حدود المعنى الذي يحتمله النص.

(3) المبحث الثاني: التحقيق العلمي

ويشمل:

تحديد القضية العلمية.

الرجوع إلى المصادر العلمية المتخصصة.

تحديد درجة ثبوتها.



التمييز بين الحقيقة والقانون والنظرية والفرضية.

(4) المبحث الثالث: الموازنة المنهجية

وفيه تقارن الدلالة الشرعية بالمعرفة العلمية، ثم يحدد الباحث النتيجة بدقة:

إشارة علمية، أو توافق علمي، أو تفسير علمي، أو دعوى إعجاز علمي.

ميثاق الباحث في الإعجاز العلمي؛

عشر قواعد قبل نشر أي دعوى:

ليست قيمة الباحث في الإعجاز العلمي بكثرة الأمثلة التي يجمعها، وإنما بقدرته على التمييز

بين ما يثبت وما لا يثبت. ولهذا يمكن اختصار منهج هذا الكتاب في الميثاق الآتي:

القاعدة الأولى:

تحقق من النص قبل أن تستدل به.

فلا تبني دعوى على حديث لم تثبت صحته، ولا على لفظ لم يثبت في القرآن أو السنة.

القاعدة الثانية:

حرر معنى النص قبل ربطه بالعلم.

فلا تجعل الاكتشاف العلمي هو الذي يحدد معنى الآية ابتداءً.

القاعدة الثالثة:

اعرف درجة المعلومة العلمية.

ففرق بين الحقيقة الراسخة، والنظرية، والفرضية، والرأي أو التفسير.

القاعدة الرابعة:

لا تجعل الاحتمال يقيناً.

فإذا كان الربط محتملاً، فليكن التعبير محتملاً بقدر ما يحتمل الدليل.

القاعدة الخامسة:



لا تنتزع اللفظ من سياقه.

فاللفظ القرآني لا يُفسَّر بمعزل عن سياقه وسباقه ولحاظه واستعماله في القرآن.

القاعدة السادسة:

لا تحمل النص تفاصيل لم يدل عليها.

فالإشارة إلى ظاهرة كونية لا تعني بالضرورة أن النص يتضمن جميع تفاصيلها ومصطلحاتها العلمية الحديثة.

القاعدة السابعة:

لا تجعل كل توافق إعجازاً.

فقد يكون بين النص والحقيقة العلمية توافق صحيح، دون أن يستوفي شروط دعوى الإعجاز.

القاعدة الثامنة:

ارجع إلى المتخصصين.

فالباحث في التفسير لا يستغني عن المتخصص في العلم الذي ينقل عنه، كما أن المتخصص في العلم لا يستغني عن أدوات فهم النص الشرعي.

القاعدة التاسعة:

لا تجعل الإعجاز أساس الإيمان.

فالقرآن كتاب هداية، ودلالته على صدقه لا تنحصر في الاكتشافات العلمية المتجددة.

القاعدة العاشرة:

إذا لم تثبت الدعوى، فقل: لم تثبت.

فالتراجع عن دعوى غير صحيحة ليس ضعفاً، بل هو من الأمانة العلمية.



الخلاصة:

إن الباحث الذي يلتزم بهذه القواعد لا يكون مطالباً بأن يجد إعجازاً في كل آية كونية، ولا بأن يرد كل محاولة في هذا الباب، وإنما يكون مطالباً بشيء واحد: أن يزن الدعوى بميزان الدليل. وهذا هو المقصود من «معايير البرهان»؛ أن يكون البرهان سابقاً على الحكم، وأن تكون الأمانة العلمية مقدمة على الرغبة في الإقناع.

(5) الخاتمة والتوصيات

وتتضمن أهم النتائج، مع بيان ما ثبت وما بقي في دائرة الاحتمال، ثم تقديم التوصيات العلمية والدعوية.

خامساً: الاختبار النهائي للمادة:

صمم ورقة عمل لتقويم دعوى إعجاز علمي وفق المعايير المنهجية التي درستها. ما أهم التوصيات التي تقدمها لصناع المحتوى الدعوي عند تناول موضوعات الإعجاز العلمي في وسائل التواصل الاجتماعي؟ كيف يمكن احترام جهود الباحثين المعاصرين مع المحافظة على حق النقد العلمي لما يقع في بعض كتاباتهم من أخطاء؟

اختر دعوى إعجازية، ثم طَبِّق عليها مراحل التحقيق التراثي والعلمي والمنهجي.

مشروع التخرج:

يقدم كل طالب بحثاً تطبيقياً مختصراً في موضوع من موضوعات الإعجاز العلمي، على أن يلتزم بالمنهج الآتي:

توثيق النص.

دراسة اللغة والسياق.

جمع أقوال المفسرين.



توثيق الحقيقة العلمية من مصادر متخصصة.
 تحديد درجة ثبوت المعرفة العلمية.
 الموازنة بين النص والمعرفة العلمية.
 إصدار الحكم المنهجي بلغة دقيقة.
 وتكون الغاية من المشروع تدريب الطالب على تقويم النصوص والدعاوى العلمية، لا مجرد جمع
 الأمثلة المشهورة في كتب الإعجاز.

خاتمة الكتاب:

الاستخلاص المنهجي ووصايا الطريق:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه
 ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين؛ أما بعد:
 فقد حاولنا في هذا الكتاب أن نضع ميزاناً منهجياً للتعامل مع الإعجاز العلمي، يجمع بين
 احترام النص الشرعي، والإفادة من المعرفة العلمية، والحذر من التكلف والمبالغة.
 ولم يكن المقصود إغلاق باب النظر في آيات الكون، ولا رفض كل توافق بين النصوص
 الشرعية والحقائق العلمية، وإنما المقصود أن يكون هذا النظر قائماً على العلم والتحقيق، بعيداً
 عن التسرع والدعاوى التي لا تقوم على أساس متين.
 وقد ظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن أهم ما يحتاج إليه الباحث في هذا المجال هو التمييز بين
 الوحي الثابت والمعرفة البشرية المتغيرة، وبين الحقيقة العلمية والنظرية والفرضية، وبين الإشارة
 العلمية والتفسير العلمي والإعجاز العلمي.
 كما تبين أن النص القرآني لا يحتاج إلى أن نحمله كل اكتشاف جديد حتى نثبت عظمته؛
 فالقرآن كتاب هداية، وآيات الكون فيه تدعو الإنسان إلى النظر والتفكير والاعتبار.



ومن هنا فإن العلاقة الصحيحة بين الوحي والعلم تقوم على احترام مجال كل منهما، والاستفادة من العلم في فهم الكون، مع عدم جعل النظريات العلمية المتغيرة حاكمة على النص الشرعي.

أولاً: التوصايا المنهجية للباحثين:

1. رعاية النص وصيانة دلالاته

إن الحفاظ على سلامة اللفظ القرآني وسياقه، والوقوف عند ما تحتمله لغة العرب، من أهم واجبات الباحث.

فلا يجوز إخراج النص عن دلالاته من أجل موافقته لاكتشاف علمي طارئ، كما لا يصح إبطال المعنى التفسيري المعتبر لمجرد ظهور تفسير علمي جديد.

2. الفصل بين مراتب المعرفة العلمية

ينبغي ألا تُبنى دعوى الإعجاز القطعي على فرضية أو نظرية قابلة للتغير.

والأدق أن يقال:

إن دعوى الإعجاز تحتاج إلى حقيقة علمية راسخة ودلالة شرعية معتبرة ووجه سبق واضح، أما ما دون ذلك فينبغي أن يعبر عنه بلغة الاحتمال والتوافق والإشارة.

3. تطهير الخطاب الدعوي من الإثارة الإعلامية

لا ينبغي تحويل الإعجاز العلمي إلى وسيلة لجذب المشاهدات من خلال الدعاوى العددية أو الطبية غير الموثقة.

فالمبالغة قد تحقق انتشاراً سريعاً، لكنها قد تؤدي إلى نتائج عكسية عندما يكشف المتخصصون ضعف الدعوى.



4. التأهيل المزدوج للباحث

يحتاج هذا المجال إلى باحث يجمع بين معرفة معتبرة بالعلوم الشرعية واللغة وأصول التفسير، وبين قدر مناسب من المعرفة بالعلم الذي يتحدث عنه، أو التعاون مع متخصص موثوق فيه. فالحديث عن الطب يحتاج إلى طبيب أو مصدر طبي متخصص، والحديث عن الفيزياء يحتاج إلى الرجوع إلى المتخصصين في الفيزياء، وهكذا.

ثانياً: توصيات مستقبلية للبحث العلمي:

1. إنشاء لجان علمية مشتركة

من المفيد إنشاء فرق بحثية تجمع المتخصصين في الشريعة والتفسير واللغة مع المتخصصين في الطب والفيزياء والأحياء وسائر العلوم ذات الصلة. والهدف من ذلك فحص الدعاوى العلمية قبل نشرها، وتقليل الأخطاء الناتجة عن اعتماد الباحث على تخصص واحد.

2. إدراج فلسفة العلم ومناهج البحث

ينبغي أن يحظى طلاب الدراسات الشرعية بقدر مناسب من دراسة فلسفة العلم ومناهج البحث؛ حتى يدركوا حدود العلوم التجريبية، ويفرقوا بين الحقيقة والنظرية والفرضية، ويتعاملوا مع الدعاوى العلمية بوعي نقدي.

3. ترجمة البحوث المنضبطة

إذا ثبتت دعوى إعجاز علمي بعد استكمال شروطها، فيمكن تقديمها في دراسات علمية رصينة وترجمتها إلى لغات مختلفة، بعيداً عن الصياغة الدعائية والمبالغات.



كلمة أخيرة:

إن قوة الإعجاز العلمي لا تكون بكثرة الأمثلة، ولا بكثرة الأرقام، ولا برفع سقف الادعاء، وإنما تكون بسلامة الدليل ودقة المنهج وأمانة الباحث. فإذا ثبت النص، وصحت الدلالة، واستقرت الحقيقة العلمية، وظهر وجه التوافق أو السبق، كان للباحث أن يعرض النتيجة بقدر ما تسمح به الأدلة. أما إذا لم تثبت بعض المقدمات، فالأمانة العلمية تقتضي أن يقول: لا أعلم.

وذلك خير للباحث من دعوى لا يستطيع الدفاع عنها. نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لطلبة العلم، معينًا على حسن فهم كتابه وسنة نبيه، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105]. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين



أولاً: قائمة المراجع والمصادر:

مرتبة ترتيباً ألفبائياً بحسب أسماء المؤلفين.

أ

ابن عاشور، محمد الطاهر.

التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، في 30 جزءاً.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي.

تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ/1999م، 8 مجلدات.

ج

الجوهري، طنطاوي.

الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1350هـ/1932م.

ر

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر.

مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

ط

الطبري، محمد بن جرير.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: عبدالله بن عبدالحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م، 26 مجلداً.



ق

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري.
الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية،
الطبعة الثانية، 1384هـ/1964م.

ك

كون، توماس س.
بنية الثورات العلمية. ترجمة: حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007م.

ثانيًا: القرآن الكريم وكتب السنة:

القرآن الكريم.
البخاري، محمد بن إسماعيل.
الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،
المعروف بـ«صحيح البخاري».
مسلم بن الحجاج النيسابوري.
المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم، المعروف بـ«صحيح مسلم».



فهرس الموضوعات:

المحتويات

المقدمة:	3
المحاضرة الأولى:	5
مفهوم الإعجاز في القرآن الكريم:	5
أولاً: المعنى اللغوي للإعجاز:	5
ثانياً: الإعجاز في الاصطلاح:	5
ثالثاً: تعدد وجوه الإعجاز:	6
المحاضرة الثانية:	7
أنواع الإعجاز في القرآن الكريم:	7
أولاً: الإعجاز البياني واللغوي:	7
ثانياً: الإعجاز التشريعي:	7
ثالثاً: الإعجاز الغيبي والتاريخي:	8
رابعاً: الإعجاز النفسي والتربوي:	8
خامساً: الإعجاز العلمي:	8
المحاضرة الثالثة:	10
ضبط مفهوم الإعجاز العلمي والتمييز بين مراتبه:	10



- 10..... أولاً: لماذا نحتاج إلى ضبط المصطلح؟
- 10..... ثانيًا: الإشارة العلمية:
- 10..... ثالثًا: التفسير العلمي:
- 11..... رابعًا: الإعجاز العلمي:
- 11..... خامسًا: العلوم التجريبية بين الحقيقة والنظرية والفرضية:
- 12..... المحاضرة الرابعة:
- 12..... الضوابط المنهجية للإعجاز العلمي:
- 12..... الضابط الأول: سلامة الدلالة اللغوية والسياق التاريخي:
- 12..... الضابط الثاني: مراعاة السياق القرآني:
- 12..... الضابط الثالث: عدم معارضة التفسير المعتبر:
- 13..... الضابط الرابع: الاعتماد على حقيقة علمية مستقرة:
- 13..... الضابط الخامس: عدم تحميل النص تفاصيل لم يذكرها:
- 13..... الضابط السادس: التنوع في لغة الأحكام:
- 14..... الضابط السابع: التمييز بين الإعجاز والتوافق العلمي:
- 14..... الإعجاز العلمي في السنة النبوية:
- 15..... الإعجاز العلمي بوصفه أداة دعوية:
- 15..... مصطلحات لا بد من تحريرها:



- 18..... المحاضرة الخامسة:
- 18..... كيف يحكم الباحث على دعوى الإعجاز؟
- 18..... من ضبط الدعوى إلى إصدار الحكم:
- 18..... أولاً: التحقق من ثبوت النص:
- 18..... ثانياً: تحرير الدلالة اللغوية والتفسيرية:
- 19..... ثالثاً: تحرير الدعوى العلمية:
- 20..... رابعاً: اختبار العلاقة بين النص والكشف العلمي:
- 21..... خامساً: إصدار الحكم العلمي:
- 22..... نموذج عملي مختصر:
- 23..... ما درجة الحكم التي تستحقها الدعوى؟
- 23..... خلاصة المحاضرة:
- 24..... أخطاء الباحث قبل أخطاء التفسير:
- 24..... ومن أبرز هذه الأخطاء:
- 26..... المحاضرة السادسة:
- 26..... أبرز عشرات التفسير العلمي: عرض نقدي لتأويل وجناية التكلف:
- 26..... أولاً: تفكيك النماذج التطبيقية المتكلفة:
- 26..... النموذج الأول: ربط السماوات السبع بطبقات الغلاف الجوي:



- 26..... النموذج الثاني:
- 27..... النموذج الثالث: ربط آيات نشأة الكون بتفاصيل نظرية الانفجار العظيم:
- 28..... ثانيًا: المعايير النقدية لفحص أي دعوى إعجاز علمي:
- 29..... ثالثًا: جناية التكلف على الدعوة الإسلامية المعاصرة:
- 30..... المحاضرة السابعة: ...
- 30..... مناهج المفسرين وعلم تقويم النصوص: التراث بين النظر والتأويل:
- 30..... مقدمة:
- 30..... أولًا: الخارطة التاريخية لمناهج المفسرين في التعامل مع الآيات الكونية:
- 32..... ثانيًا: أدوات تقويم النصوص:
- 32..... الأداة الأولى: الوضع اللغوي ومراعاة الحقيقة العرفية زمن النزول:
- 33..... الأداة الثانية: التمييز بين التفسير والتأويل والجريان المجازي:
- 33..... ثالثًا: دراسة نقدية تطبيقية للاتجاه التوسعي:
- 34..... التفسير التراثي:
- 34..... الطرح العلمي الحديث:
- 34..... رابعًا: أسئلة التقويم والواجب المنزلي:
- 35..... خلاصة المحاضرة:
- 36..... المحاضرة الثامنة



- 36..... فلسفة العلم والحديث وعلم الإلحاد: جسر الحوار وبرهان المحنة المعرفية.
- 36..... مقدمة:
- 36..... أولاً: مبادئ إبستمولوجية وحدود العلم التجريبي:
- 38..... ثانياً: العلموية في الخطاب الإلحادي:
- 39..... ثالثاً: توظيف الإعجاز العلمي المنضبط في الحوار الفكري:
- 40..... رابعاً: منهجية الاستدلال بالسبق المعرفي:
- 41..... سادساً: عدم المبالغة في دعوى استحالة الصدفة:
- 41..... سابعاً: واجب منزلي وتقويم:
- 42..... المحاضرة التاسعة
- 42..... مختبر الباحث المعياري:
- 42..... الورشة التطبيقية التفاعلية لصناعة العقلية الناقدة
- 42..... مقدمة:
- 42..... أولاً: إستراتيجية إدارة الورشة التطبيقية:
- 43..... ثانياً: دراسة حالة تطبيقية:
- 44..... ثالثاً: دراسة حالة حديث الذباب:
- 45..... رابعاً: دليل الصياغة الأكاديمية للبحوث:
- 46..... ميثاق الباحث في الإعجاز العلمي:



- 48..... خامسًا: الاختبار النهائي للمادة:
- 49..... خاتمة الكتاب:
- 49..... الاستخلاص المنهجي ووصايا الطريق:
- 50..... أولًا: الوصايا المنهجية للباحثين:
- 51..... ثانيًا: توصيات مستقبلية للبحث العلمي:
- 53..... أولًا: قائمة المراجع والمصادر:
- 54..... ثانيًا: القرآن الكريم وكتب السنة:
- 55..... فهرس الموضوعات:

